الكتاب الموجه للطفل في الجزائر
" كتاب الأناشيد نمودجا "

أ/ محمّد الصّالح خرفي
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة جيجل

مقدمة

ليس من باب المبالغة القول أن تطور أمة من الأمم و تقدمها في المجال التقني والعلمي والفني , مرتبط بطريقة الاهتمام بأطفالها و تعليمهم و العناية بهم وإعدادهم للمهمات المستقبلية التي سوف تناط بهم لدفع أمتهم دفعا قويا و المساهمة في التطور الحضاري الذي يطلب امتلاك القدرات و الوسائل والأفكار و تجسيدها واقعا . لأن الواقع العالمي اليوم لا يعترف الا بالقوي في كل المجالات و الصراع الحضاري أو بالأحرى المواجهة القادمة ستكون صعبة للغاية وعلى هذا " تعد تنمية الطفولة و تنميتها و رعايتها العامل الأساسي لأن الرعاية السليمة للطفولة تمثل المستقبل المزهر لأي لأمة ويتطلب ذلك ضرورة الاستجابة لاحتياجات الطفل الأساسية و يعتمد على التخطيط العلمي و توفير الموارد البشرية و المادية اللازمة لتنشئة الطفل و رعايته في مراحل نموه المختلفة " (1) و للمحيط الذي يعيش فيه الطفل أهمية كبير جدا و تترتب عليه النتائج ان سلبا أو إيجابا , فالطفل ـ مثلا ـ الذي يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية يجد أمامه ـ في بيته أو المؤسسة التعليمية ـ آخر المبتكرات التكنولوجية و يستخدمها بكل حرية , أو يأخذ منها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . أما في الدول النامية , فان الحصول على تلك الثكنولجيا العالية التقنية من الأمور الصعبة على الكبار فما بالك بالصغار ؟ ف " البيئة التي يحيا فيها الطفل لها تأثيرها سواء في ذلك البيئة الطبيعية أو البيئة المصنوعة ." (2) وقبل أن يأتي الطفل ونهتم به لابد من الاهتمام بالمرأة الحامل ف " هي أحوج ما تكون الى الرعاية " والحنان والحب والمساندة في تكليل تجربتها بالنجاح , فان الجنين الذي ينمو في أحشائها لأشد حاجة" منها الى مثل هذه الرعاية والحماية والحنان على المستويين النفسي والبيولوجي ويتجلى ذلك بوضوح حين ندرك أن صعوبات الحمل و آلامه ما هي الا صعوبات عارضة بالنسبة للأم الحامل , ولكن هذه الصعوبات قد تترك بصماتها و أثارها السلبية على مستقبل الجنين في مرحلة لاحقة من حياته , أي بعد ولادته بسنوات قد تقل أو تكثر

"(3) فهذا الجنين حتى قبل مولده لا يعيش بمعزل عن محيطه الخارجي , فالاهتمام بالأم اهتمام بالطفل نفسه ومساعدة له في مراحله القادمة , ومن هنا تصبح الحاجة ماسة لدراسة الطفل , ومعالجة مشكلاته الصحية والنفسية والسلوكية واللغوية ... ويشترط وجد تفاهم أسري داخل العائلة ووجود القدوة حتى يسير على نهجها لأن " الأطفال يتوحدون بوالديهم بدرجة معينة " بمعنى أنهم يتخذون من الأباء نماذج يحاكونها , فان الأطفال يكتسبون نمط مشابه من الدوافع "(4) وليس هذا أن الطفل عالم غامض يصعب فك رموزه وشفراته أو التعامل معه بل هو كائن بشري حساس يضن أن من حوله يرده ويسعى للحوار معه ؛ فهو لا يريد الطعام والشراب فقط ـ وان كان ذلك ضروريا ـ بل هو في حاجة أن يشعر بالمحبة والأمان والاجتماع مع الناس ف " الطفل يمارس خبرات معينة ويتفاعل مع بيئته كجزء لا يتجزأ . من تيار الحوادث والعلاقات والمشاعر والأفكار والأشياء , ولكي نفهم هذا الطفل يجب أن ننظر اليه على أنه كائن حي طبيعي يرتبط مع غيره من الكائنات الحية الأخرى وينتج عن ذلك أن سلوك الطفل يقع في ميدان خبرته "(5) وهو أيضا " بحاجة من أجل نموه الذاتي ومن أجل تمكينه من لعب دوره في مجتمع الحديث الى إتقان وسائل التواصل مع سواه "(6) فمجمل الأفكار والاعتقادات و السلوكات والمشاعر التي يكتسبونها ويفصحون عنها هي نتيجة تواصلهم مع الآخرين وتفاعلهم معهم والاتصال يكون بطرق عديدة ؛ إما بالاتصال المباشر أو عن طريق الوسائط والهدف من ذلك هو اكتساب ثقافة حياتية مناسبة ومساعدة على التكيف والعيش دون مشاكل لأن " عبقرية النوع الانساني تقوم على ثقافته وثقافته من صنعه و(هي) تبدأ من الفكرة التي بدأ فيها الانسان يستخدم عقله ... ومحاولة التحكم في الظروف المحيطة به "(7) فبتلك الثقافة يستطيع أن يواجه ويتكيف ويعيش في ظروف أحسن بالرغم من العوائق قد تقف في طريقه ـ قد تكون عوائق ذاتية نفسية أو اجتماعية أو تقنية ـ و الطفل ـ مهما كان ـ لا يستطيع الاستغناء عن الثقافة ؛ زاده في الحياة , لذا من واجب المهتمين بشوؤن الطفل أن يهتموا بثقافته دون أن ننسى أنه " عندما نكون بصدد الحديث عن ثقافة الطفل لابد أن نتذكر أن هذا الكائن البشري الصغير بحكم حداثة السن وطراوة التكوين وهشاشة القدرة يكون دائما في موقع المتلقي الضعيف والسريع الاستجابة والفوري التجاوب ومن ثم فان الوسائل التي تستهدفه هي التي تشكل عقله ووجدانه وتخلق

وتنمي فيه أنماط السلوك وأساليب الحيات والاتجاهات المستقبلية في كل مجال t" (8) والثقافة ليست بمنائ عن الأبعاد الحضرية و خصوصية الأمة وارتباطاتها التاريخية التي تنطبع حتما في الذاكرة الثقافية لذلك لابد أن تكون المادة الثقافية ـ الموجهة للأطفال ـ موجهة توجيها سليما وهادفا من أجل البناء لا الهدم سواء تعلق الأمر بطفل ما قبل المدرسة أو الطفل المتمدرس أو الشاب المراهق . الوسائط الموجهة للأطفال : اذا كان الطفل يتصل بأسرته في المرحلة الأولى وبمحيطه ومجتمعه ـ عن طريق الاتصال المباشر بالأفراد أو عن طريق أجهزة الإعلام ـ في مرحلة تالية فهو في كل ذلك يتلقى جملة من المعارف والمعلومات عبر وسائط كثيرة يتشكل من خلالها , وقد يقع للغزو الفكري الموجه لأن من اكبر مشكلات الطفل " أنه سريع التقليد لما حوله يخطف بصره الومضة أو اللمحة ثم ترسخ في ذهنه وفكره لتصير جزءا من كيانه وانشغالا ته...فهو سريع الآخذ شديد الانفعال ـ (9) لذلك لابد من غربلة البرامج والكتابات التي تقدم له حتى تتشكل لديه منظومة قيم نقية نابعة من خصوصيات مجتمعه غير مستوردة من فضاءات خارجية . وتشكل وسائل الإعلام الجماهيرية ـ المسموعة والمرئية ـ دورا رئيسيا في إمداد الطفل بكم معرفي هائل لأنها تجمع بين الترفيه و التربية والتثقيف في آن واحد . ولأنها تخاطب حاستين هما : البصر و السمع وقد " ذكر بعض الخبراء أن المرء يحصل على المعلومات أو المعرفة الإنسانية عموما عن طريق الحواس الخمس وبعد عدة تجارب وجدوا أن الانسان يحصل على معلوماته بالنسب التالية : عن طريق البصر 75%, عن طريق السمع 13% , عن طريق اللمس 06% , عن طريق الشم 03% عن طريق التذوق 03% ."(10) فوسائل الاتصال المتنوعة تساهم في تكوين شخصية الطفل وصقلها حتى يندمج في المجتمع ويعي نفسه والآخرين ويسعى للإبداع والإنتاج "ومن هنا تتشكل لديهم عناصر الثقافة الاجتماعية من عادات وتقاليد و أعراف وفنون وآداب ـوسوى ذلك ـ ويحقق الطفل وجوده الثقافي وانتمائه الى مجتمعه من خلال هذه المحصلة التي تجعل منه كائنا ثقافيا"(11)

وبالإضافة الى وسائل الإعلام هناك وسائل أخرى مثل المسرح والشريط والأسطوانة والكتاب الا أهمها جميعا هو الكتاب , لأنه يمتاز بطواعية لا تتوفر في بقية الوسائط , حيث يستطيع الفرد في كل زمان ومكان الاتصال بمصادر المعرفة والفكر والثقافة المدونة بالكتاب , وهي تدعو للتأمل والتفكير وتقدم الحقائق مثبتة

على الأوراق , حيث يمكن التعامل معها لوقت طويل كما يمكن الرجوع إليها في كل فرصة , كما أن الكلمة المطبوعة أقل كلفة من ناحية إنتاجها من غيرها , فكلما زادت نسخ الكتاب انخفضت كلفته .وتتعدد أنواع الكتب اذ نجد منها : الكتب القصصية والعلمية والدينية والتاريخية ودوائر المعارف والموسوعات والمعاجم وكتب الرحلات والجغرافيا والشعر والأناشيد والكتب المصورة . غير أن الكتابة للأطفال تتطلب دراية ودراسة وصبرا وممارسة ولابد أن يراعى في تلك الكتب الحاجات التي تسعى الى إشباعها وكيفية كتاباتها والطفل الموجهة اليه , ويجب أن تراقب من طرف هيئة علمية عليا تحتكم الى الضمير الأدبي لا الى الأهواء الذاتية و الانتماء الحزبي , لأن الكتابة للأطفال مسوؤلية كبيرة لأنها تتعلق بشريحة ضخمة من أفراد المجتمع وتخاطب عقول و نفوس بريئة بالاضافة الى هدفها الجليل و النبيل و العظيم فنحن نريد " أن نؤصل ذاته العربية الإسلامية و أن نعمق فيه روح المعرفة و الإدراك وأن نحقق تهيئته للحياة المهنية و الاجتماعية وأن ننمي لديه الذوق الفني و الجمالي والإبداعي وأن يغرس فيه إحساس المسوؤلية و الإقبال على الإنتاج واحترام وحب العمل , وأن يرعى نبوغه وتتعهد مواهبه بالرعاية وأن ترسخ أقدامه فوق أرضية الأصل و توجه أبصاره نحو آفاق العصر , فنحول له التراث الى قيم يبشر بها ونصور له المستقبل في آمال يتطلع إليها " (12) ويمكن إجمال شروط الكتاب الجيد الموجه للطفل في النقاط التالية:

ـ المساهمة في اعداد الجيل لتحمل مسوؤلية .

ـ المساعدة على التعلم والاكتشاف والابداع والتفكير وتنشيط المدارك وتنمية الملكات و القدرات

ـ تحسيس ا لطفل بواجباته و الدور الذي يلعبه .

ـ تقديم المعلومة المتنوعة الصحيحة المؤسسة

ـ التخطيط المسبق لبلوغ الأهداف (التسلية , المعرفة , التربية , النجاح , الاستقلال , التوافق ...) ـ إشاعة القيم الهادفة و الإشادة بالأنماط السلوكية المقبولة و تثبيت النظم الاجتماعية النافعة(الصدق ,المحبة , العدالة , الكرم , الصداقة , التواضع , المساعدة , العمل , التضحية ...)

ـ احترام الأعمار و مراعاة المستوى الفكري و اللغوي واستعمال اللغة المبسطة إشباع الحاجات النفسية و تنمية المهارات اليدوية و التأكيد على ارتباطه بالعالم الخارجي .

ـ الإخراج الجيد و الاهتمام بالشكل الجيد و التغليف المتين و الصورة المعبرة .
ـ الصدق و البساطة في الطرح وعدم المغالاة و الغموض و التعقيد واستخدام الأسلوب الجميل.
و اذا توفرت الكثير من هذه الشروط واجتمعت معا فان الكتاب يحقق مجمل أهدافه و يساهم في تكوين و إرشاد وإعداد الطفل الإعداد الجيد , وإذا أقبل الطفل على قراءة الكتاب و شغف به تحققت فاعلية الكتابة , و أصبحت القراءة أو المطالعة عملية اتصاليةوطريق للتعلم وقناة لتلقي المعلومات .
وتتعدد الأسباب والدوافع الى القراءة فقد تكون للمعرفة أو للمتعة ـ في مراحل الطفل الأولى ـ وقد تكون لمعرفة تجارب انسانية تختلف عن تجاربنا أو لأجل التذوق الفني ـ في مراحل متقدمة من عمر الطفل ـ لكن الذي لا يمكن إغفاله هو أنه " حافز القراءة والدافع اليه ظاهرة انسانية كحافز الكتابة " (13) لذاك يجب أن يكون عنصرا حافزا في تلك الكتب لخلق حوار داخلي بين الطفل والكتاب و " و يأخذ الحوار الداخلي أهمية أكبر اذ يتوجب على هذا المربي أن يتخيل ردود فعل مستقبلية و درجة تقبلهم لرسالته" (14) فتدخل آليا عناصر أخرى كالإسقاط والتقمص تبعا لدرجة تفاعل الطفل مع الكتاب وتأثره به فالطفل يبقى على اتصال دائم بالآخرين طوال حياته ولا يمكنه العيش بمعزل عنهم ـ الا في حالات مرضية أو عدوانية ـ ويأخذ الاتصال الشكل المباشرالفعلي, والشكل غير المباشر أي عن طريق الكتب .
<u>الكتب الموجهة للطفل بالجزائر "مكتبة دار الثقافةهواري بومدين سطيف نموذجا"</u>:
محاولة منا للاقتراب أكثر من عالم الطفل ارتأينا أن نأخذ عينة عن الكتب الموجهة له بدار الثقافة هواري بومدين ولاية سطيف , حيث توجد " مكتبة الأطفال " وورشة للرسم موجهة أيضا للأطفال حيث أن رسوم الأطفال " وعاء للفكر حيث هي نوع من أنواع التعبير في لغة يعبر بها الطفل عما يدور في نفسه ..يمكن الاعتماد عليها واستخدامها مفتاحا لتربية اجتماعية شاملة "(15) فالرسم يجسد الانفعالات ويبرز الحاجات التي يعاني منها الطفل من عدم تحقيقها أو يخافها أو يتوق إليها . وحتى تكون دراستنا هذه متخصصة أكثر منها تنظير فركزنا على الجانب التطبيقي وأفردنا الحديث عن الكتب فقط ونؤجل الحديث عن الرسم لمناسبة قادمة فبالرجوع الى مكتبة الأطفال بدار الثقافة هواري بومدين بمدينة سطيف وجدنا أن

كتبها تنوعت بين القصة والأنشودة والتاريخ والجغرافيا والمغامرات والدين والاكتشافات العلمية فالملاحظة الأولى التي يخرج بها القارئ لبليوغرافيا مكتبة الأطفال أنه هناك تفاوت بين دور النشر في الاهتمام بأدب الطفل ـ على الأقل على مستوى المكتبة ـ ونجد أن المؤسسة الوطنية للكتاب تحتل مكان الصدارة في الاهتمام بالطفل فلها في الشعر سلسلة شموع وفي القصة سلسلة أغيلاس وكل ذلك بفضل قسم منشورات الأطفال التابع للمؤسسة ومثلها جدار الهدى التي كان لها : وحدة ثقافة الطفل أما في المشرق العربي فان الاهتمام بنشر كتاب الطفل يخص بعناية متميزة في كل من لبنان ومصر وسوريا وان كانت لبنان الرائد الأول . أما الملاحظة الثانية فهي أن الكثير من دور النشر لها استراتيجية إصدار السلسلات مثل دار الشروق (مصر)ـ والتي منها حكا يا دار الشروق , سلسلة قصص ومغامرات للأولاد والبنات , سلسلة أجمل الحكايا الشعبية , سلسلة عالم ذيزني ـ ومكتبة سمير (لبنان) والتي منها سلسلة حكا يا كل زمان 38حكاية وسلسلة بلابل الربيع وسلسلة الرياض الزاهرة ـ ودار النفائس (لبنان)ـ والتي منها سلسلة المغامرون الأذكياء وسلسلة رحلات الشاطر حسنـ ودر الأندلس (لبنان) ـوالتي منها سلسلة الطفل السعيد وسلسلة العلم بالقصص ـ و

ceil. La collections personages Celebes. La ـEditions gamma Paris: les grates collections historique. la collections bon jour le monde

والهدف من ذلك تقديم صورة شاملة عن الموضوع وتنوع الأفكار المطروحة يجعل الطفل يرتبط بالسلسلة وينتظر بفارغ الصبر الإصدار القادم . أما الملاحظة التالية فهي غلبة كتاب القصة , وذلك راجع الى أن الطفل في سنواته الأولى في حاجة الى الحكاية والقصة لأن فيها الكثير من الخصائص مثل الأحداث والزمان والمكان والتشويق والعقدة والحل فهاته الخصائص تشد الطفل إليها وتجعله يتابعها ويقرأها بتركيز لذلك فهو يرتبط بالأشياء القريب من ذاته ومن مجتمعه ويشعر بالحرية وببعض الحاجات تتحقق ـ ولو على مستوى الخيال ـ كما أن القصة تكشف دواخل النفوس وكوامنها وهذه الأشياء مجتمعة قد لا يفهمها الطفل وان كان الكثير منها متوفر في الشعر . الأناشيد الموجهة للطفل في الجزائر : لأجل التميز والتفرد أثرنا دراسة الأنشودة الموجهة للطفل ـ وعلى قلتها وعدم الاهتمام بها ـ مع الإشارة أن القصة قد درس جانب منها الباحث محمد شنوفي وقد نشرت له مجلة آمال في عددها الخاص بأدب الأطفال (ع 66 / 1999 .) تلك الدراسة وبالرجوع مجددا الى

مكتبة الأطفال بدار الثقافة هواري ومدين ـ عينة الدراسة ـ وجدنا كتب الأناشيد التالية 1ـ محمد ناصر : البراعم الندية (8 أناشيد) 2ـ الشافعي السنوسي : أناشيد الأشبال(15 نشيدا) 3 ـ محمد الأخضر السائحي : أناشيد النصر (18 نشيد 4ـ مصطفى الغماري : الفرحة الخضراء (18 نشيدا) 5 ـ سليمان جوادي : ويأتي الربيع (17 نشيدا) 6ـ خضر بدور: أنغام الطفولة (18 نشيدا) 7ـ سليمان العيسى :غنوا يا أطفال (10 أجزاء) 8ـ أحمد المختار الوزير : أناشيد الأطفال (18 نشيدا) 9ـ أحمد مختار الوزير : الأهازيج (18 نشيدا) هذه الكتب الخاصة بالأناشيد والبالغة تسعة كتب قليلة جدا مقارنتا بكتب القصة أما من ناحية عدد الأناشيد الموجودة بها فهي 131 أنشودة دون حساب أناشيد سليمان العيسى الواقعة في عشرة أجزاء من الحجم الكبير ؛ فهي قليلة أيضا على اعتبار أن كل أنشودة هي قصة من القصص . وقد صدرت أناشيد أدباء الجزائر من طرف المؤسسة الوطنية للكتاب أما أناشيد العيسى فعن دار الآداب للصغار , وأناشيد أحمد المختار الوزير عن الدار التونسية للنشر . فالطفل عنصر مهم وفعال في عملية الاتصال سواء أكان الإنتاج الموجه اليه شعرا أم نثرا . وإذا عدنا الى الكتاب المدرسي الجزائري الذي يمتلكه كل طفل متمدرس في مرحلة التعليم الأساسي ـ الطور الأول والثاني ـ وجدنا الأنشودة موزعة كالتالي: ـ السنة الثالثة 07 أناشيد ـ السنة الرابعة 09أناشيد السنةالخامسة 17 أنشودة السنة السادسة 11أنشودة . أي بمجموع 44 أنشودة وبمعدل 11 أنشودة في كل سنة يمتحن فيها التلميذ في كل امتحان . ومن شروط الأنشودة الواجب توافرها عند كتابتها ؛ توفر الإمكانات الابداعية الكبيرة حتى تكون في شكل فني كبير من جهة وهادفة من جهة أخرى أي أنها تجمع بين الفكر والفن لأن ذاكرة الطفل لا تحتفظ الا بالجيد الجميل " ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا أن نظم قصائد للأطفال أصعب بكثير من نظم قصائد للكبار , اذ على شاعر الأطفال أن يضع في حسابه كثيرا من التقنيات ويرصد ازاء ذهنه الكثير من الحقائق لا تقبل الجدل ومن هذه الحقائق والتقنيات مراعاة المستوى العمري والفكري واللغوي والنفسي وغير ذلك "(16) فعلى الشاعر أن يهتم باللغة والصورة والوزن والفكرة والقيم " مبتعدا قدر المستطاع عن الغموض والتعقيد , لأن كل شيء محسوب بقدر. من أجل الجمع بين الفن والتربية , فالكلمة الجميلة لها تأثير سحري على الطفل وفي إيمانه بالقيم الهادفة . فالشاعر سليمان رائد الكتابة للأطفال في العالم العربي .مثلا حريصا على

أن يكون النشيد الذي يكتبه متوفرا على العناصر التالية ": 1ـ اللفظة الرشيقة الموحية 2ـ الصورة الشعرية الجميلة 3ـ الفكرة النبيلة الخيرة 4ـ الوزن الموسيقي الخفيف الرشيق . " (17) فعن طريق هذه الأدوات والعناصر ـ التي لاغنى عنها ـ تصل مباشرة الى قلب الطفل ؛ هذا الأخير نجده حاضرا بقوة عند سليمان العيسى * كقارئ منشد أو كمحور للعمل الشعري

أكتب لنا أكتب لنا ** يا شاعر الأطفال
الضوء نحن الضوء ** فانشرنا على الأجيال
قصيدة القمـــــم ** تخضر بالنعـــــم
قصيدة البـــــراءة ** والوحـدة الوضاءة
أكتب لنا أكتب لنا ** وخـــلنا في البال
المجـد للصغـــار ** يا شاعـــر الصغار (18)

هذا الحضور يكاد يكون غائبا في الأنشودة الجزائرية وكان من المفروض أن يكون في كل نبضة نشيد حتى يصل بسعة الى الطفل ويبقى الى أطول مدة ممكنة سواء تعلق الأمر بالقصيدة القصصية أو الغنائية أو المسرحية ... والتي يكون حاضرا فيها فيخلص لها كما أخلصت له . فذاكرة الطفل في حاجة الى تخزين معلومات متنوعة وفعالة وهو مستعد لحفظها ان نحن أحسنا التوجيه واختيار النماذج الموجهة له

القيم في أناشيد الأطفال بالجزائر : تتشكل منظومة القيم في أي مجتمع من المجتمعات من الاعتقادات والأعراف والتقاليد أو بصيغة أخرى تتشكل من الموروث الحضاري للأمة فتصبح سائدة ومتبعة ـ طبعا بتفاوت بين أفراد المجتمع ـ ويسعى الأدباء باعتبارهم من موجهي الأمة ومرشديها الى إشاعة تلك القيم والتبشير بها وترسيخها في الذاكرة الجماعية للأمة حتى ينمو الفرد فيها ـ الطفل هنا ـ نموا سليما . وإذا عدنا الى الكتاب المدرسي الجزائري لمرحلة التعليم أساسي للطور لأول والثاني ـ على اعتبار المدرسة الفضاء الاجتماعي الذي يتلقى فيه الطفل العديد من القيم التي تؤثر في حياته المستقبلية

فبالرجوع إذن الى مجموعة الأناشيد المدرسية ـ من السنة الثالثة الى السنة السادسة ـ نجدها تسعى الى إيجاد تواصل بين الطفل والمحيط وغرس حب الوطن + التعاون والاهتمام بالمظاهر الطبيعية والجمال واحترام الوقت وتعظيم قدرة الله وإشاعة الفرحة واحترام العمل وتقديسه ـ مهما كان ـ وربط الطفل بالعالم الخارجي وإبراز قيمة الأشياء وإحياء المناسبات الدينية والاهتمام بالرياضة

والنظافة ...سواء تعلق الأمر بالبنت التي تحب أمها وتطيعها وتجهر ذلك :

يا أم إني مطيعة ** وللكلام سميعة
وكل ما شئت مني ** أقضيه سريعــة
فارض عني فإني ** يا أم بنت مطيعة (19)

أو تعلق الأمر بالولد أو بهما معا فالهم واحد والقضية واحدة :

بلاد العرب أوطاني ** من الشام لبغدان
ومن نجد الى يمن ** الى مصر فتطوان
أنا في كل أرض العرب ** أحيا بين إخواني
فلأاحد يباعدنا ** و لا دين يفرقنا .
لسان الضاد يجمعنا ** بغسان و عدنان .(20)

وهذا النص ـ الأخير ـ موجه لطفل السنة السادسة من التعليم الأساسي .هو يبلغ من العمر 11أو 12 سنة . وفي هذه المرحلة يبدأ إدراك ارتباطاته التاريخية والحضارية . وإذا رجعنا الى كتب الأناشيد التي يطالعها الأطفال فإننا نجدها لا تحيد عما تقرره المدرسة وتسعى الى تثبيت تلك القيم , والاختلاف يكمن في أنها لا تفرض على الأطفال وإنما هو الذي يختار الكتاب الذي يعجبه ـ أو وجهناه اليه ـ ولا يحفظ معه الا ما أثر فيه فعلا , فهو ينجذب اليه بدءا من شكله وخطه وألوانه الى أفكاره ومضامينه التي يبشر بها . وتكاد تتشابه مضامين كتب الأناشيد الموجهة للأطفال في الجزائر ولا تختلف الا في طريقة الاهتمام وطريقة التعبير و كيفيا ته وهذا هو المهم . لأن التميز والتفرد بين الشعراء يكون في كيف تقول ؟ وليس في ماذا تقول ؟ ففي الكتب التسعة السابقة نجد قيما عديدة . و سنكتفي بسبعة منها :

<u>1ـ القيم الوطنية</u> : والوطن هو رمز الانتماء و الانتساب يعيش فيه حياته كلها وان رحل منه أو عنه فهو يحن اليه دائما , ويشكل العلم أحد رموز الوطن فلا يملك الا أن ينشد

افدي اخضرارك فهو رمز مسيرتي واحمي احمرارك فهو يعني ثورتي
وهلالـــك الو ضاء رمز عروبتي والنجـــمة العلياء رمز عقيدتي
نفديك يا رمز الجزائر يا علـــم (21)

وفي سبيل حماية العلم ـ الوطن ـ لابد من التضحية وتقديم كل غال اليه من أجل صد جميع البغاة لأن ذلك من شيم الأوفياء وتجسيد للحب الحقيقي :

نحن الأشبال بنو الأسد ** صناع العزة والمجـــد
عاهدنا الله على الجد ** وعلى الإخلاص لذا الوطن
ســنعز الضاد ونحميه ** وسنبني الصـــرح ونعليه
والباغي الحاقد نفنيه ** ونعادي الساعي في الفــتن

نحن الأنصار لملتـنا ** نحـــــــن الأبطال لأمتنا
نبني الأمجـاد بهمتنا ** ونحقق آمال الوطـــــــن (22)
فالوطن ليس ذكرى عابرة بل هو عقيدة ثابتة لا تتحول ولا تتبدل وان تغيرت الظروف و ألمت به الخطوب فالإيمان ثابت لا يتزعزع ولابد يل له :
آمنت بحبك يا وطني ** آمنت بحبك آمـنـت
لو خان الناس جميعهم ** قسما بالثورة ما خنت
لو قيل أترضي له بدلا ** بل الجنة ثرت واعترضت
فجمالك هذا ألهمني ** درر الأشعار فألهمت (23)
فكل ما في الوطن جميل ترابه أحجاره أزهاره ، نجومه ، ضلاله ، غلاله :
وطني أشجار وضلال وترابي قمح وغلال
أتفيء ظلك يا وطني وأحب ترابك يا وطني (24)
فوطن الطفل هو جنته ـ في الأرض وهو مهما كان من أجمل الأوطان ومن حنا ياه هذه الأشعار :
يا موطني الحبيب ** يا جنت الأوطان
من روضك الخصيب ** من حسنك الفتان
خطرت في القشيب ** من أجمل الألوان
وجئت بالعجيـــب ** من هذه الألحـــان (25)
فالطفل ان أدرك كل هذا أصبح من أكثر الناس تشبثا بأرضه وجذوره وأصوله وتاريخه القريب والبعيد، ومن حقه علينا أن نحميه ونحمى وطنه .
2 ـ <u>القيم الأسرية</u> : والأسرة هي الأنشودة الدائمة والملجأ الأول والأخير للطفل في كنفه يحيا ومنه يستمد الكثير من العناصر المهمة في حياته ؛ ففيها يتربى ويتعلم ويدرك القيم الأولى في حياته ويسعى لتحقيق طموحاته وآماله لإرضاء أسرته (الأب, الأم, الاخوة) والكبيرة (المجتمع) وهو يصرح بحبه لأفراد أسرته ولا يخفى دلك ، يشكر والديه كلما سنحت له الفرصة على ما يقدمانه اليه :
أحب أبي فكم يشقى ** بمسعاه ليســـعدني
وأمي إنها أمـــــني ** وفي أحضانها سكني
وأولهم وأخرهـــم ** لواء العز من وطني (26)
وعندما يغيب الأب عن البيت لا يجد الطفل الا أمه تحميه وترعاه ، فهي كل شيء في حياته :
أنت ربيع ** أنت صيف
أنت قمر ** أنت صيف
من بسمتك ** رف النور (27)

والطفل بالرغم من حداثة سنه فهو لا يلبث أن يسأل عن والده شوقا وحبا يشعر بالخطر الذي يلم بوالده ويحس بما يعانيه ولا يجد من يسأله عنه الا أمه

أماه يا أمـــــاه أين ** أبي فتعطف آسفة
تخفي الدموع تصبرا ** وتقول حيرى راجفة
سيعود زورقه إلينا ** لا يــصاب بتالفة
سيعود زورقه بصيد ** كالليالي السالفة
هو زورق ألف الصراع ** مع البحار العاصفة.
عودوا لمضجعكم وناموا **إنني به عارفة .
كفوا الدموع فردت ** رباه كف العاصفة . (28)

وحب الطفل لأبيه لا ينسيه جده . فهو سيصير يوما ما ـ ان كتبة له الحياة ـ جدا، ومن أحسن الى جده وأبيه أحسن أبنائه اليه : يا جدي يا رمز الحــب ** يا طيفا يسكن قلبي ستبقى كبيرا في نظري ** يا أغلى أغلى إنسان (29)

فالأسرة السعيدة هي التي يتكافل فيها جميع أفرادها ويتعاونون عل الخير ، والطفل كما هو في حاجة الى أم وأب فهو في حاجة الى اخوة له يساعدهم ويساعدونه بحبهم وبحبونه ، يتعاونون على محن الزمن فهو لا يبتعد عن أخيه سواء أكان ذلك بحكم قرابة الدم أو بحكم الجيرة و الدين والإنسانية : لا تبتعد عني أخي **ولا أنا أبتعد فأنت زندي وأنا ** كلي إليك العضد. فالاجتماع بالناس والتواصل معهم يزيد في توثيق الروابط الإنسانية ومد أواصر الأخوة والصداقة . ومن يريد أن يعيش لنفسه أو دون غيره فهو مر
انما العاجز حقا ** من عن الناس تفرد

3 ـ <u>القيم العلمية</u> : وتشكل المدرسة الفضاء الواسع الذي يتعلم فيه الطفل الكثير من الأشياء , ولذلك تهتم الأمم ببناء المدارس والعناية بها وتوفير الإمكانات المادية لها وإعداد المشرفين عليها تدريسا وتسييرا حتى تكون العملية التربوية ناجحة وتحقق هدفها ويتشكل الطفل وفق رؤيا سليمة لكل ذلك " يعتمد المجتمع اعتمادا حياتيا على التربية اذ هي وسيلة بقائه واستمراره ، بل هو وسيلة تقدمه وتطوره اذا ما أريد لهذا التقدم والتطور أن يكون عميق الجذور متأصلا في حياة الأفراد " (32) وفي الجزائر مثلا تضم المدرسة ملايين المتمدرسين , كما يلتحق بها كل عام الآلاف ليكونوا على اتصال مباشر مع المجتمع (المعلمين و الأساتذة و التلاميذ الآخرين و المحيط العام) ولذا يجب أن نحبب إليهم هذا المكان (المدرسة) ونجعلهم يقبلون عليه بحب ورغبة ولا يفارقونه الا ليعودوا اليه وهم أكثر شوقا وإذ ما غادروه حملوا زادا معرفيا

وثقافيا وحياتيا يعينهم في مسيرتهم الحياتية : الصبح أعانق نسمته ** والزهر أحاكي بسمته والطير أقلد رفته ** شوقالزلالك مدرستي (33) لأن المدرسة مهد العلم ؛ والعلم سبيل النجاح والسؤدد والحياة الكريمة فما من أمة أمنت بالعلم واعتنت به وكرمت حامليه ووفرت لهم ما يطلبون الا ووصلت الى أعلى القمم : " العلوم النيرات ** والخلال الطيبات بها تزهو الحياة ** وتنال المكرمات انما العلم سبيل ** للمعالي يا شباب (34)

والكتاب هو رفيق الطفل في المدرسة وفي المكتبات العامة ومكتبة الأسرة فهو كما يستفيد من معلميه , يستفيد من الكتاب الذي يجمع بين مجالات شتى ويرجع له الطفل في مناسبات كثيرة للاستزادة أو المراجعة أو التثبيت , فالكتاب هو خير جليس له : أنت الجليس الأمين ** أنت الحكيم الرزين يا كتاب أنت المربي النصيح ** أنت المسلي المريح يا كتاب (35) وما أجمل أن يكون الكتاب عربيا , لكن ليس معنى هذا أن ينغلق الطفل على نفسه ولا يتعلم لغة الأخرين بل عليه أن يسعى جاهدا ـ بنفسه أو بمساعدة الأهل أو المؤسسات الرسمية ـ لاكتساب اللغات الحية لمواكبة جديد العالم في كافة المجالات ؛ وتشبثه باللغة العربية دليل على وعيه وارتباطه بحضارته : نحن شعب عربي ** مند كانا ليس يرضى سوى الضاد **لسانا قد تحدى بنا به ** حتى الزمان (36) فالعربية هي أحلى لغة وأخيرها نهواها ونعشقها والتاريخ يحدثنا بأنها لما كانت عزيزة ومحبوبة وصلت الى الأفاق وأبدعت بها العقول في شتى المجالات : لغتي شجرة ** تنمو أبدا أنا أتلوها **لحنا غردا لغتي علم ** لغتي شعر منها السيف ** ومنها المطر

<u>4ـ القيم الاجتماعية</u> : والعمل أبرز القيم الاجتماعية فبه ينجح في مدرسته ويرضى والديه ويساهم في بناء وطنه وتشييد صرح أمته , ويأخذ العبرة من الحيوانات والحشرات ـ التي تعيش في محيطه ـ التي تسعى من أجل رزقها لاتمل ولاتكل ولنسمع لحوار عصفورين ـ والعصفور يعادل الطفل ـ :

عصفور قال لعصفور ** هيا يا جاري قم نعمل
يا جاري يا قم نسعى **نبني أعشاشا في المرعى
يا جاري لالاتكسل ** وافتح أبواب المستقبل
و أنشر ألحانك في الكون ** يا قمر فضي اللون
واستقبل يومك مبتسما ** واهتف للفجر ان أقبل (38)

فالعمل هو المنفذ الوحيد للنجاح ولابد أن يرتبط بالأمل , لأن الطفل اذا فشل ولم يعد الكرة مرة أخرى فانه لن يصل , فمن يريد كل

شيء من أول مرة لا يستطيع أن يواصل اذا لم ينجح . وعند ذلك لا يلوم الا نفسه التي خانته :

ان ضاقت الدنيا بنا ** واسود منها الأخضر
ففي غد يزهو الربيع ** ويموج الثمر
وهكذا الحياة من ** جمالها التغيير (39)

الأمل هو الوجه الأخر للعمل . وبه يتجاوز الطفل جميع العقبات فهو يعيش واقعه ويتحمل مسوؤلياته بثقة وشجاعة ولا يبغ الا الخير والحلال والصفاء :

ان خير القوم من يحيا على رزق الحلال**
ان شر القوم من يبني ** قصورا في الخيال
ويقضي العمر في لغو ** وكذب واحتيال
فاجعل الجد سبيلا **وانتهج خير مجال (40)

فحتى الجماد أو الكائنات الحية التي لا تتكلم تفصح عن قيمة العمل وتدعوا بني الانسان وفي مقدمتهم الأطفال الى العمل :

يا لبدر سما باسم القسمات**
قال لي في السرى ** طاويا للفلاة
لن ينال المنى ** خامل الخطوات (41)

5 ـ <u>القيم الدينية</u> : لا توجد أمة على الأرض ـ صاحبة رسالة ـ لا تبث في أطفالها قيمها الدينية للمحافظة على كيان المجتمع وحمايته من الهجمات والصدمات المحتملة ، وحتى يصبح الطفل في مأمن فالدين هو خير حافظ لشخصيته من الزوال أو الذوبان وبالدين يجعل الطفل لكل شيء نهايات وأهداف ويربط بين الحرية والمسؤولية , والطفل عندما يأمن بتلك الأفكار لا يمكن لأحد ـ فيما بعد ـ أن يغير اتجاهه لأنه اقتنع بصحتها وسوف يعمل على تحقيقها . ومناجاة اله الكون عن طريق المعرفة الحقة :

افتح العين على أوفياء نورك ** واغدي الصدر من هبات فجرك
وأعب السلس من دقاق نهرك ** وارى الدنيا ابتساما فوق زهرك
وذر الا فجنان قد نولي بخيرك ** أتسامى في انطلاق مع بدرك
واغني في انشراح مع طيرك ** وأناديك مع الكون الهي الهي (42)

فترسيخ عظمة الله في عقل الطفل وقلبه تجعله مطيعا له مؤتمرا بأمره ومنتهيا عن نواهيه :

تباركت يا رب هذا الوجود ** وجل جلا لك أنت الحميد
و أنت القدير وأنت اللطيف ** و أنت الخير و أنت الودود
خلقت الخلائق من عدم ** ومالك يا خالقي نديد (43)

كما أن حب الله ـ سبحانه وتعالى ـ فوق كل حب ، حتى حب الوالدين :

أوراس يشهد كل الأرض شاهدة ** أن الهوى غير حب الله إنكار (44)

ويأخذ المسجد دورا كبيرا في تربية الطفل في المجتمع الانساني ، فهو مؤسسة دينية واجتماعية ، تخرج من حلقاتها الدينية والعلمية القادة العظام :

أنا مصنع الفكر مهد الأدب ** وأشرار من يصنعون العجب
ولولاي ما كان فكر عمـيق ** ولا ساد بين الأنام العــرب (45)

وحتى يكون الخير العميم و النجاة في الدنيا و الآخرة . لابد من الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله الكريم والا سادالظلام ـ على حد تعبير مصطفى الغماري الإنسانية (الحرية والعمل) : ان من يحترم نفسه سيحترم غيره ومن لا يظلم أخاه ابن أمه فانه لا يظلم غيره . ومن يكون عادلا مع نفسه وفي أسرته سيكون عادلا ع غيره . فالعمل لا هو أساس الملك ومن واجب العلماء والحكماء أن يقوموا ويرشدوا الحكام الأمير :

يا رفاقي أين تاجــي ** ان للتـــاج وقار ه
كيف لي بالحكم فيكم ** دون أن أكسى مشواره
الحكيم : دع حديث التاج دعه ** نحن لا نرضى ادكاره
تاجك العدل فصــنه ** قلت بالعدل الإمارة
انه أغلى وأبهى ** من حلي مستعارة
وبه عزت شعوب ** وبه ازدادت حضارة
هو نور الله نور العقل ** ما اسنى ازد هاره (47)

وإذا كان العمل طريق المجد والحضارة فان الحرية هي المفتاح , فكل شعب أمن بالحرية نال مبتغاة ، وثورة الجزائر العظيمة خير مثال على ذلك، والحرية مبدأ لا يمكن التنازل عنه وليس معنى بالنسبة للطفل (أو لغيره)أن يفعل أي شيء دون رقابة أو حدود ضابطة له بل يمارس حريته في الأطر المحددة والمتعارف عليها أخلاقيا وأدبيا وهذه صرخة طفل سليمان جوادي :

سأبقى دائما حـــرا ** أحطم كل مرتــد
فلا الأقفاص تغرينـي ** وان كانت من الورد
سينهض كل مظلوم ** برغم الجوع والبرد
ويمضي لناس كلهم ** سواسية الى المجد (48)

فان آمنا نحن بالحرية ـ قولا وعملا ـ وبحرية فلسطين وعملنا لأجل تحريرها ، وأعددنا الأطفال الصغار اليوم الكبار غدا لهذا الموعد التاريخي الهام . فانها ستتحرر لا محالة : لا تحزني .. لا تيأسي فنحن ئدون

لن تسدل الجفون لن تغمض العيون
لن يخلد المعمر الخوؤن فنحن يا حبيبتي إليك راجعون (49)

7ـ القيم الطبيعة : المتضح للشعر العربي على اختلاف عصوره يلاحظ عودة الشاعر الى الطبيعة " الأصل " و "الماضي " بل إننا

نعمم القول اذ " لا يخلو الشعر في مختلف اللغات من ذكر الأنهار والأشجار و النجوم و الغيوم و لا يخلو من التعبير من الأحاسيس الفطرية التي هي نفسها جزء من الطبيعة و إلغاء الحاجز بين الجماد و الحي فالجملة الشعرية تثير صورة ذهنية متجهة الى الأصل الى الطفولة البشرية في لقائها مع الطبيعة وهذا هو الذي يعطشنا نحو الشعر (50) وعن طريق مدة العودة الى الطبيعة والنفس نحقق الصدق الذي يبحث عنه القارئ ـ الطفل ـ والشجرة إحدى تلك الأصول :

كم فيك يا جميلة ** من حكمة نبيلة
ففي الثرى أصيلة ** وفي السما جليلة
فعلمي نفوسنا ** محاسن الفضيلة (51)

ولذا فلا بد أن نغرس في الطفل الاعتناء بالطبيعة والشجرة حتى يصبح لديه سلوكا حضاريا يقوم به من تلقاء نفسه , فيساهم في حماية الطبيعة وفي حملات التشجير لأنه يدرك أهمية الشجرة و دورها في التوازن الطبيعي :

أرضنا أرض النعيم ** خير أوطان البشر
فأحفظ الخير العميم ** في ثراها بالشجر (52)

وتشكل فصول السنة (الشتاء الربيع الصيف الخريف) مظاهر التغيير في الطبيعة ، ولاغنى لفصل عن الأخر ـ فكل شيء بحسبان ـ وإذا وجدنا الربيع بكثرة في الشعر الموجه للأطفال , وكذا حب الناس له ـ خاصة الأطفال ـ فذلك راجع الي مظاهر التغيير في هذا الفصل تبرز بجلاء الذي يترك أثارا طيبة على النفس ويجعلها رقيقة ، وهاهو الربيع يتكلم عن نفسه على لسان الشاعر خضر بدور

أنا الضياء الباهر ** أنا الجمال الساحر
ثوبي بساط أخضر ** مزركـــــش منور
تزهو بي الزهـــور ** وتفرح الطيور
ففي سمائي تمرح ** وتنشد وتصدح
من بهجة الصباح ** وموطن الأفاح
قصائدي لونتـــها ** برعشة الجناح (53)

وكما تحدث الشعراء عن الربيع ، تحدثوا عن المظاهر الطبيعية الأخرى مثل : الثلج , النخيل ، الزيتون , البحر, الشمس , القمر, والزهور والورود ... وتغدوا جميع هذه العناصر الطبيعية مسبحة وداعية للحب بين الناس , وداعية أيضا لحفظ الجزائر من كل شر وسوء :

شقائق النعمان ** والروح والريحان والتين و الرمان ** تقول يا رحمان
يا خالق الأكوان ** احفظ لنا الجزائر (54)

فالربيع يتكلم والزهر يبتسم والعصافير تتحاور و الهدف من ذلك هو أن يتعلم منها الطفل ويقدرها ويحترمها , بالاضافة الى هذا التجسيد و خلع الصفات الانسانية على الأشياء الجامدة والمعنوية والمائناة الحية غير الناطقة عودة الى الأصل " فالشعر خط متجه الى الماضي أو الى الأصل في الطبيعة الكونية والبشرية "(55) وهكذا نرى أن الشاعر الجزائري اتجه الى الأطفال وطرق جميع المواضيع لأنه يدرك أن من واجبه أن يشير الى كل مايسترعي دهن الطفل ويثير احساسه وينمي فيه روح الجمال والابداع والتعاون والحب والأمل والخير والسلام لأجل بناء غدا أفضل

بعض الخصائص الفنية في الأناشيد الموجهة للأطفال بالجزائر :

اذاكناقد أسهبنا في الحديث عن مضامين تلك الأناشيد فليس للأننا نغلب المضمون على الشكل بل لأن الفل يتعامل مباشرة مع الفكرة النبيلة الخيرة ثم يأتي البناء الفني في مرحلة تالية ، اذ تشكل اللغة الجميلة والصورة الموحية والموسيقى الخفيفة احدى الحوافز المهمة التي تجعله ينشد ذلك المقطع الشعري ويحاول حفظه في ذاكرته التي تلتهم كل شيئ جميل . وسنتناول في هذا المقام بعض العناصر فقط وبايجاز :

1 ـ اللغة : لأن اللغة هي الوسيلة التي تصبغ الفرد الصبغة الاجتماعية وكلما ازداد الفرد توغلا في عضويته في المجتمع يزداد دور اللغة أهمية لافي حياته الاجتماعية فحسب , بل في سلوكه واحساسه وتفكيره , بل ان عضويته الفعالة في مجتمعه تعتمد اعتمادا مباشرا على قدرته على الاتصال . (و) بدورها تعد عاملا أساسيا في نموه باعتباره فردا يعيش في جماعة بشرية ولغوية معينة (56)

واذا كان ذلك مهما بالنسبة للغة المنطوقة , فانه يصبح أكثر أهمية مع اللغة المكتوبة التي يقرأها الطفل ويعود اليها في كل مرة , كلما أتيحت له فرصة المطالعة , وأثمن هدية نقدمها للأطفال هي " الكلمة الحلوة الجميلة التي نضعها على شفتيه , لكي يجيد الأطفال لغتهم , لكي يحبوا وطنهم , لكي يحبوا الناس والزهر والربيع والحياة"(57) فاللغة الشعرية المستعملة تكون مختارة بعناية فائقة ـ دلالة الانسجام ـ ففي أنشودة "عهدي " لمحمد ناصر يقول الشاعر على لسان الطفل :

أنا الجيل في الحرب أغدوا حسام ** وفي السلم في كف شعبي حمام (58)

هذا التقابل في الكلمات ؛ الحرب السلم حسام , حمام ودلاللة كل كلمة بمفردها ثم مجتمعة في النظم أعطت وقعا خاصا للبيت

الشعري . والشيئ نفسه نجده في أنشودة " أمتي " للشاعر الشافعي السنوسي اذ يقول :

يا أمتي الأبية ** يا كعبة البرية
يا أية الرحمان ** في المجد والسلطان
تاريخك المجيد ** على القلا شهيد
آبناؤك العظام ** أعز كرام
أئمة هداة ** أشاوس أباة
قد ورثو الأمجاد ** والحزم والسداد
عن يعرب الكريم ** وأحمد العظيم
يأمة الكرام ** ثوري على الظلام
وحطمي القيودا ** ومزقي الجمودا
لتهزمي اليهود ا ** وترفعي البنود
وتبلغي السعادة ** والعز والسيادة (59)

فألفاظ هذه الأبيات مختارة بعناية ومنسجمة مع الموضوع " الأمة, الكعبة ,البرية , المجد, العلا, كرام, أباة , السعادة, السداد , السيادة, العز " وتحيل حتما على تاريخ مجيد . ولذلك فالمقطع الثاني نتيجة حتمية للأول فاذا كانت تملك كل ذلك , فان الثورة على الظلام وتحطيم القيود ورفع البنود وهزيمة اليهود مسألة وقت فقط وعند ذلك ستبلغ قمة السيادة . الا أن بعض الشعراء قد وقع في فخ أدلجة الأطفال , فكان شعره موجها ولغته مكشوفة مما أسقط العمل الفني في التقريرية والمباشرية ونجد هذا عند الشاعرين السائحي و جوادي . فالأول يتجه بخطه السياسي قائلا

أنا في كل حين ** اشتراكي في يقيني (60)

والثاني يطلب من الطفل أن يتحدث بلغة المحراث والجرار والاسمنت والحجارة

تكلمي بلغة المحراث والجرار
تكلمي بلغة الاسمنت والحجارة فربما رفيقتي يطيب لي الحوار
المجد للعمال والخلد للعمال (60)

فالدعاية السياسية المكشوفة لاتخدم الطفل ولا النص الأدبي بل تضرهما معا , وهذا ما جعل العديد من الأدباء يقع في اشكالية النزول الى مستوى الطفل أو مخاطبته بلغة الكبار " مع أن الكتابة للطفل لاينبغي أن تكون هبوطا أو صعودا وإنما محالة إيصاله الى فكر المتلقي الطفل , إيصال معلومات أو ثقافات تضاف الى مداركه وتساعد هذه المدارك على النمو والاتساع . كاتب الأطفال لا يقتصر على تسليتهم وإنما يسعى من خلال التسلية الى إغناء مدركا تهم إغناء دالا نافعا والارتقاء بهم دهنيا ولغويا وجماليا " (62) فإشكالية اللغة لا تخص النص الموجه للصغار فقط و بل تخص أيضا الكبار ,

فنجد الكثير من النصوص غارقة في السطحية , والكثير منها غارق في الغموض والتعقيد . لكن المبدع المتمكن العارف بخبايا الابداع , تصبح اللغة لديه مطواعة ومتكيفة مع المواضع والشريحة الموجهة إليها النص .

2 ـ الصورة الشعرية : الحقيقة أن التعبير عن طريق الصورة . طريق جيد ومضمون سواء كان ذلك عن طريق الصورة التقليدية البسيطة (والتي عرفت منذ القدم) المبنية على التشبيه والاستعارة بنوعيها والكناية . أو عن طريق الصورة القصصية (وهي من الصور المركبة) والتي تكون شاملة .يشكل فيها الجزء عنصرا مهما لا يمكن فصله عن بقية العناصر الأخرى فالصورة الكلية مبنية على عدة أجزاء متلاحمة .

وان كانت الصورة التالية أبلغ وأجمل وأكثر تأثيرا, فان الصورة التقليدية هي الشائعة ومن ذلك أنشودة " مدينتي الجميلة " لخضر بدور :

مدينتي الجميلة ** كريمة أصيلة
حسناء كاليمامة ** بيضاء كالحمامة
وديعة نقيـــــة ** كزهرة بريـــة (63)

أما الصورة القصصية فهي قليلة جدا وقد وجدناها بارزة عند الشاعر أحمد الوزير في أنشودة " تاج السل " و"نصيحة أم "و"القبرة الهادئة "و "زورق الصياد " وأجملها الصورة الموجودة في أنشودة " زورق الصياد " :

أماه يا أماه أين ** أبي فتعطف آسفة
تخفي الدموع تصبرا ** وتقول حيرى راجفة
سيعود زورقه إلينا ** لا يصاب بتالفة
سيعود زورقه بصيد ** كالليالي السالفة (64)

فالصورة تتشكل من أم وأولادها في انتظار الأب الصياد الذي خرج لصيد ركب زورقه في ليلة عاصفة هوجاء قد يعود زورقه وقد لا يعود لكن الزوجة في عودته قائم .

فهذه الصورة الشعرية القصصية زيادة على ملامحها فهي معبرة ومؤثرة تشد الطفل إليها شدا وتجعله يتابع الأبيات بشغف وتطلع كبيرين . وأحيانا يلجأ الشاعر الى الحزن حتى يشد ذهن الطفل ومن هؤلاء سليمان العيسى رائد الكتابة الشعرية للأطفال في العالم العربي ففي " رسالة من عصافير قطر الندى " يقول:

يا شاعري يا شاعر الصغار
لو يعلم الكبار
خذوا لنا الدنيا بلا حساب

وفتحوا لنا الأبواب (65)
فالطفل المتلقي يفتح قوسا أمام " لو يعلم الكبار " ويتخيل ماذا سوف يعلمون ؟ أنهم الأمل و الريح القادم الذي سوف يحرر فلسطين ويقضي على الهزيمة ذ, أم أنهم الذين سوف يبنون الوطن أم " تصورات كثيرة تقف أمام الطفل تكون نبعا لثقافته والمحيط الذي يعيش فيه . الا أن هذا الإيحاء لا يلتزم به معظم الشعراء الذين يرغبون في توصيل أفكارهم بأسر الطرق , زيادة على طغيان الوصف المباشر ف " الرغبة في الوصف قد حدث من الطلقة الفنية للشاعر وجعلت المباشر محورا للتجربة الشعرية ولم يبقى أي مجال للرمز والإيحاء الخصب المتعدد المستويات (66)
3 ـ الوزن الموسيقي : بالعودة مجددا الى تلك الأناشيد نجد أن بحر , الرمل والتقارب والمتدارك هي أكثر استعمالا وهي بحور صافية . وقد تنوعت بين التام والمجزؤ , فقصائد محمد ناصر مثلا أغلبها على المتدارك والمتقارب وقصائد الشافعي السنوسي معضمها على المتقارب , وقصائد محمد الأخضر السائحي كلها على الرمل .
أما ن ناحية البناء فكلها عمودية ماعدا بعض قصائد سليمان جوادي فقد جاءت على شعر الخاتمة :ان الاهتمام بالطفل مسؤلية الجميع . وهذه المسوؤلية تتطلب معرفة وافية وشاملة بالطفل وأساليب التربية الحديثة حتى ينموا نموا صحيحا وسليما ويساهم في بناء وطنه بشرط أن يكون ما يقدم له مفيدا ومناسبا له يربطه بمجتمعه وبالعالم الخارجي والتطورات والأحداث الجارية . وألا تنتهك حرمته و " المقصود بانتهاك حرمة الطفل هو قيام الوالدين أو من يقوم على تربية الطفل " بممارسة أي نوع من أنواع العنف أو القسوة الشديدة التي تتسبب في إصابة الطفل أو المراهق بالألم أو الضرر أو المعاناة ال جسدية كانت أم نفسية أم عقلية أم الاجتماعية "(67) والتي يكون من أثارها المستقبلية السلوكات العدوانية والعنف . ومن الإجراءات الفعالة التي تساهم في اعداد الطفل الاهتمام بنشر الكتاب الموجه اليه نشرا وتوزيعا واخرجا . وكذا فتح مكتبات خاصة بالأطفال في كل بلدية ومركز ثقافة لتشجيع عملية القراءة الواسعة والمنظمة . ومتابعة كل ما ينشر في مجال الطفل في وسائل الاتصال من طرف هيئة عليا. والاهتمام بالبحوث والدراسات المتعلقة بالطفل في كافة المجلات (الاجتماعية و النفسية و الأدبية والصحية) والتنسيق بين الوزارات ؛ خاصة التربية و التعليم والثقافة والاتصال والرياضة و التكوين ورصد ميزانية معتبرة لتشجيع ثقافة الطفل و الهدف من كل ذلك هو اعداد طفل بإمكانه مواجهة الهجمات المحتملة التي تريد فرض

ثقافتها علينا . و تدريبه على الانتقاء و الاختيار وعدم الانسياق وراء المظاهر والأشكال البراقة و الخادعة والهدامة لأن العصر القادم هو عصر البث المباشر الذي تزول معه الكثير من الحدود و يقضي على الكثير من القيم , و اذا لم نسارع في تحصينه و إعداده والتكفل به ، فإننا سوف نخسر ذواتنا و أفئدتنا و عقولنا وحينها آني لنا استرجاع ما ضاع .

الاحالات:

1 ـ عاطف عبد لي العبد : الإعلام المرئي . ص 5 .
2 ـ انشراح الشال : رسوم الأطفال . ص 99 .
3 ـ علي وطفة : علم نفس الجنين .م العربي ع 433 ص 150 .
4 ـ عبد الفتاح محمد : سيكولوجية السلوك ص 119 .
5ـ محمد لبيب النجيحي : مقدمة في فلسفة التربية ص91 .
6 ـ فاخر عاقل : علم النفس التربوي ص 18 .
7 ـ سامية حسن الساعاتي : الثقافة والشخصية ص22 .
8 ـ اسماعيل الحاج موسى : التعاون الثقافي المجلة العربية للثقافة ع 28 ص 43 .
9 ـ محمد مرتاض من قضايا أدب الأطفال ص10.
10 ـ عاطف عدلي : الإعلام المرئي ص 225 .
11 ـ مجلة أمال عدد خاص بأدب الأطفال ع65 (الافتتاحية) ص2 .
12 ـ اسماعيل الحاج موسى : التعاون لثقافي ص 35.
13 ـ عدنان خالد عبد الله : النقد التطبيقي ص11.
14 ـ عبد الفتاح محمد : سيكولوجية السلوك ص 210 .
15 ـ انشراح الشال : رسومات الأطفال ص27 .
16 ـ محمد مرتاض: من قضايا أدب الأطفال ص 62 .
17 ـ سليمان العيسى : غنوا ا يا أطفال ص 7 و 9 * ـ راجع دراستنا تجربة الكتابة للأطفال في العالم العربي سليمان العيسى نمودجا ـ
18 ـ سليمان العيسى : غنوا يا أطفال ج 10 ص 32 .
19 ـ كتاب القراءة للسنة الثالثة ص56.
20 ـ كتاب القراءة للسنة السادسة ص 186 .
21 ـ محمد ناصر : البراعم الندية ص10.
22 ـ الشافعي السنوسي : أناشيد الأشبال ص 37.
23 ـ سليمان جوادي : ويأتي الربيع ص 4 .
24 ـ سليمان العيسى : غنوا يا أطفال ج 2 ص 27 .
25ـ محمد الأخضر السائحي : أناشيد النصر ص5 .
26 ـ أحمد المختار الوزير : أناشيد الأطفال ص14 .
27 ـ خضر بدور : أنغام الطفولة ص19 .
28ـأحمد المختار الوزير : الأهازيج ص12.
29 ـ المصدر نفسه ص18 .
30 ـ أحمد المختار الوزير :أناشيد الأطفال ص26 31.
31 ـ أحمد المختار الوزير : الأهازيج ص17 .
32 ـ محمد لبيب : الأسس الاجتماعية للتربية ص7 .
33 ـ محمد ناصر : البراعم الندية ص17 .

34 ـ الشافعي السنوسي : أناشيد الأشبال ص 15 .
35 ـ المصدر نفسه ص 27 .
36 ـ محمد الأخضر السائحي : أناشيد النصر ص34 .
37 ـ سليمان العيسى : غنوا أطفال ج 6 ص28.
38 ـ خضر بدور : أنغام الطفولة ص9 .
39 ـ أحمد المختار الوزير :أناشيد الأطفال ص29 .
40 ـ سليمان جوادي : ويأتي الربيع ص46 .
41 ـ محمد ناصر : البراعم الندية ص22 .
42 ـ المصدر نفسه ص4.
43 ـ الشافعي السنوسي : أناشيد الأشبال ص23 .
44 ـ مصطفى الغماري : الفرحة الخضراء ص18 .
45 ـ المصدر نفسه ص39 و 40 .
46 ـ المصدر نفسه ص6 .
47ـ أحمد المختار الوزير : أناشيد الأطفال ص16 .
48 ـ سليمان جوادي : ويأتي الربيع ص24 .
49 ـ المصدر نفسه ص28 .
50 ـ صلاح عيد : العودة الى الأصل ص13 .
51 ـ محمد ناصر : البراعم الندية ص25 .
52 ـ محمد الأخضر السائحي :أناشيد النصر ص39 .
53 ـ خضر بدور ـ أنغام الطفولة ص14 .
54 ـ مصطفى الغماري : الفرحة الخضراء ص20 .
55ـ صلاح عيد : العودة الى الأصل ص5 .
56 ـ حلمي خليل : اللغة والطفل ص10 .
57 ـ سليمان العيسى : غنوا يا أطفال ص30 .
58 ـ محمد ناصر : البراعم الندية .
59 ـ الشافعي السنوس : أناشيد الأشبال ص3و4 .
60 ـ محمد الأخضر السائحي : أناشيد النصر ص21 .
61 ـ سليمان جوادي : ويأتي الربيع ص38.
62 ـ عبد العزيز المقالح : الوجه الضائع ص151 .
63 ـ خضر بدور :أنغام الطفولة ص4 .
64 ـ أحمد المختار الوزير : الأهازيج ص12 .
65 ـ سليمان العيسى : غنوا يا أطفال ج 7 ص 30 .
66 ـ عبد العزيز المقالح : الوجه الضائع ص 45 .
67 ـ عدنان محرز : انتهاك الطفولة م العربي ع 452 ص 164 .